دلالاتُ الصلاة.. فقهُ القلب والحياة

الأذان، تذكيرٌ بهَول النِّداء يوم القيامة

الفقيه الشيخ النراقي قدس سره

بين يديك، فرائد، من رحيق مختوم، هو حصيلةُ رحلة عمر مبارك، لفقيه كبير أدلج مع الصلاة، والآيات والروايات، علماً وعَملاً، ثمَّ قدَّم للمُصلِّين عبر الأجيال خُلاصة الصَّفوة من هذا الرحيق. إنَّه الفقيه النّوعي الشيخ محمّد مهدي النّراقي قدس سره.

تقدّم «شعائر» هذه الدَّلالات من كتابه الشهير (جامع السعادات) بتصرّف يسير.

ينبغي للمؤمن المُريد للآخرة ألّا يغفل عن دلالات الصلاة، فها هي نذكرها:

الأذان: فإذا سمعتَ نداء المؤذِّن، فأَخْطِر في قلبك هَوْل النِّداء يوم القيامة، وتُشمِّر بباطنك وظاهرك للإجابة والمسارعة، فإنَّ المُسارِعين إلى هذا النِّداء هم الذين يُنادَوْن باللُّطف يوم العرض الأكبر، فاعرِض قلبك على هذا النداء، فإنْ وَجَدْته مملوءاً بالفرح والإستبشار، مشحوناً بالرغبة إلى الإبتداء، فاعلم أنّه يأتيك النِّداء بالبُشرى والفَوْز يوم القضاء، ولذلك قال سيّد الأنبياء: «**أَرِحْنا يا بلال!**»، أي أَرِحنا بها وبالنداء إليها، إذ كانت قُرّةُ عينه فيها. واعْتبِر بفصول الأذان وكلماته كيف افتُتِحت بالله واختُتِمت بالله، واعتبِر بذلك أنَّ الله جلَّ جلالُه هو الأوَّل والآخِر والظَّاهر والباطِن "..." واستَحقِر الدُّنيا وما فيها لئلَّا تكون كاذباً في تكبيرك، وانْفِ عن خاطرك كلَّ معبود سواه بسماع التهليل. وأَحضِر النبيّ صلى الله عليه وآله، وتأدَّب بين يديه، واشهَد له بالرسالة مخلِصاً، وصَلِّ عليه وآله وحرِّك نفسك، وجَدِّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه، واختمْهُ بذلك كما افتَتحتَ به. واجعَلْ اعتمادك على حَوْلِه وقوّته، فإنَّه لا حَوْل ولا قوّة إلَّا بالله العليِّ العظيم.

ميقات الله تعالى

الوقت: وإذا دَخَل الوقتُ استحضِر أنَّه ميقاتٌ جَعله الله لك لِتقوم فيه بخدمته، وَلْيَظهر على قلبك السُّرور، وعلى وجهك البَهجة عند دخوله، لِكَوْنه سبباً لقُربك ووسيلة إلى فَوْزك. فاستعدّ له بالطهارة والنظافة، ولبس الثياب الصالحة للمناجاة، واسْتحضِر عَظَمة الله وجلالَه، وعَدَم تَناهي قدرته وكماله، ونُقصانَ قَدرك ومرتبتك، وعَدَم قابليّتك للقيام بخدمته، وقُصورك عن أداء وظائف طاعته.

طهارة القلب والقالب

الطّهارة: إذا أتيتَ بالطهارة في مكانك، وهو ظرفُك الأبعد، ثمّ في ثيابك، وهو غلافك الأقرب، ثمَّ في بَشَرتك، وهي قشرُك الأدنى، فلا تغفل عن لبِّك وذاتك، وهو قلبُك، فَطَهِّرهُ بالتوبة والنَّدم على ما فَرَط، وتصميم العزم على التَّرك في المستقبل.

ثمَّ إذا سَتَرتَ مَقابِح بَدَنِك عن أبصار الخَلْق باللِّباس، فأَخْطِر بالَك فضائح سرِّك التي لا يَطَّلع عليها إلَّا ربُّك، وتَحقَّق أنَّه لا يَستُر عن عَيْن الله ساتِر، وإنَّما يُكفِّرها الخوف والنَّدم والحياء، فتَستفيد بإظهارها في قلبك انبعاث جُنود الخوف والنَّدَم والحياء من مَكامِنها، فتذلّ به نفسك، وتقوم بين يدَي الله تعالى قِيام العبد المُجرِم المُسيء الآبق، الذي نَدِم فَرَجع إلى مولاه، ناكساً رأسه من الخوف والحياء. قال الصادق عليه السلام: «**أَزيَن اللِّباس للمؤمن لباس التَّقوى، وأَنعَمُه الإيمان**»، قال الله تعالى: ﴿..وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ..﴾ الأعراف:٢٦.

اللِّباس: وأمَّا اللِّباس الظاهر، فنِعمة من الله تعالى تُستَرُ بها عَوْرات بني آدم. وخَيرُ لباسك ما لا يَحملك على العُجب والخُيَلاء، فإنَّها مُورِثةٌ للقسوة في القلب. فإذا لبسْتَ ثوبك، فاذكُر سترَ الله عليك ذنوبك برحمته، وأَلبِس باطنك بالصِّدق كما أَلبستَ ظاهرك بثوبك واعتبِر بفضل الله، حيث خَلَق أسباب اللِّباس ليَستُرَ بها العورات الظّاهرة، وفتحَ أبواب التوبة والإنابة والإغاثة، ليَستُر بها عورات الباطن من الذُّنوب وأخلاق السُّوء. ولا تَفضحْ أحداً حيث سَتَر الله عليك ما أعظم منه. واشتغِل بعَيْب نفسك واصْفَح عمَّا لا يَعنيك حالُه وأمرُه، فإنَّ نسيان الذُّنوب مِن أَعظم عقوبة الله في العاجل، وأَوْفرِ أسباب العقوبة في الآجل. وما دامَ العبدُ منشغلاً بطاعة الله تعالى، ومعرفةِ عُيوب نفسه، وتَرْكِ ما يُشين في دين الله عزَّ وجلَّ، فهو بمعزلٍ عن الآفات، خائضٌ في بحر رحمة الله عزَّ وجلَّ، وما دام ناسياً لِذنوبه، جاهلاً بعيوبه، راجعاً إلى حَوْله وقوّته، لا يُفلِح إذا أبداً.